المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة نجران / عمادة البحث العلمي

المشاريع البحثية للمرحلة السادسة

دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية لوحدة الصف واجتماع الكلمة ونبذ العنف والتطرف

إعداد

الباحث الرئيسي:

د. إياد أحمد محمد سلامة / أستاذ الحديث الشريف وعلومه المساعد

الباحث المشارك:

د. عبد الظاهر عبد الباري عبيد / أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

عضوا هيئة التدريس في قسم الدراسات الإسلامية – كلية العلوم والآداب بشرورة / جامعة نجران

هذا البحث مدعوم من عمادة البحث العلمي بجامعة نجران تحت رقم : NU/SHED/14/158

ملخص بحث:

الاجتماع خير ورحمة، وبه يقوى جانب المسلمين، وتهاب دولتهم، وتزدهر حضارتهم، ولا يظفر الأعداء منهم بشيء، وأن الفرقة شر وعذاب، وهي سبب الوهن والاضمحلال، ورفع الأمن، وحلول الخوف، وتوقف العمران، وما ظفر أعداء الإسلام قديما وحديثا بدولة، فأسقطوها واحتلوها، إلا بسبب الفرقة والخلاف بين أبنائها، حتى ينبري الخونة منهم، لإعانة أعداء الله تعالى؛ كي يحققوا مرادهم.

وقد تناول هذا البحث الحديث عن دعوة الإسلام إلى الاجتماع ونبذ الفرقة، وبين البحث تضافر النصوص والآثار على لزوم الجماعة ونبذ الفرقة والاختلاف، ثم ذكر مقومات الوحدة وركائزها ثم قدم علاجا للفتن والمشاكل المعاصرة، ثم تحدث البحث عن نبذ الفرقة والاختلاف، وأهمية ذلك في وحدة الأمة وقوتها فذكر أسباب ضعف الأمة، ومفاسد الفرقة والاختلاف، وبين سياسة القرآن الكريم في علاج الفرقة، وختم بأهم أسباب العنف والتطرف، وطرق الوقاية من ذلك.

الكلمات الدلالية:

دعوة – وحدة – الصف – الاجتماع - الجماعة - العنف – التطرف - الإرهاب.

مقدمة:

يتفق العقلاء من الناس على أن الاجتماع والائتلاف مطلب ضروري لا غنى عنه لأمة تريد الفلاح. وقد جاء الشرع الحنيف بالتأكيد على هذا الأصل ورعايته، ولكن المواقف والأحداث تعصف بالناس، وتحوج إلى التأكيد على هذه المعاني والوصية بها.

وقد حدث بين البشر اختلافا في الآراء والمواقف، وهذا أمر لا بد أن يقع بين الناس، لكن هذا الاختلاف اتسعت دائرته، وبدأ يتجاوز قدر الاختلاف في الرأي، وبدا معه أن الحاجة ماسة إلى الوصية والتأكيد على معاني الاجتماع والائتلاف والوحدة، ونبذ العنف والتطرف بشتى صوره وأشكاله.

وثمة أمور، بها تتضح أهمية وحدة الصف واجتماع الكلمة، ونبذ العنف والتطرف، الذي وجه إليه القرآن الكريم، ووضحته السنة النبوية المطهرة، والحاجة إليه، ومنها الأمور التالية :

الأمر الأول: نصوص القرآن الكريم:

جاء التأكيد في القرآن الكريم على مراعاة هذا الأصل، ومن ذلك:

قال – عز وجل –: { واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ...} آل عمران: ١٠٢ – ١٠٣

وقال – عز وجل–: {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين} هود: ١١٨ – ١١٩

فقد روى ابن جرير عن الحسن في قوله – تعالى –: {ولذلك خلقهم}. "وأما أهل رحمة الله، فإنهم لا يختلفون اختلافا يضرهم"[١].

---

[١] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م. (١٥/٥٣٥-٥٣٦) ، (١٨٧٢٥)

وروى فيها عن ابن عباس– رضي الله عنهما – أنه قال: "خلقهم فريقين: فريقا يرحم فلا يختلف، وفريقا لا يرحم ويختلف؛ وذلك قوله: فمنهم شقي وسعيد"(١).

الأمر الثاني: أن هذا مما بعث الله تعالى به الأنبياء:

فقد كان الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – دعاة لوحدة الصف وجمع الكلمة، قال الإمام البغوي: "بعث الله الأنبياء كلهم، بإقامة الدين والألفة والجماعة، وترك الفرقة والمخالفة"(٢).

وقد اختلف الأنبياء من قبل في الرأي، فاختلف موسى وهارون: {قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا * ألا تتبعن أفعصيت أمري * قال يا يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي} طه: ٩٢ – ٩٤

كما اختلف الخضر وموسى، واختلف سليمان وداود: {وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين} الأنبياء: ٧٨ – ٧٩، واختلفا – عليهما السلام – في شأن المرأتين اللتين اختصمتا في الابن، واختلف آدم وموسى. ولم يكن هذا الخلاف موجبا للفرقة والنزاع، أو سببا من أسباب التناحر والاقتتال.

الأمر الثالث: نصوص السنة النبوية المطهرة :

لقد تكررت الوصية في السنة بالاعتناء بالاجتماع ووحدة الصف، وتكرر النهي عن التفرق والاختلاف، ونبذ العنف والتطرف، ومما ورد في ذلك:

---

(١) تفسير الطبري (٥٣٦/١٥) ، (١٨٧٢٦).

(٢) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق: عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش. دار طيبة، ط٤، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م. (١٨٧/٧)

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا.."[١].

وعن الحارث الأشعري – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها...الحديث وفيه: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة؛ فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلا أن يرجع ..."[٢].

الأمر الرابع: واقع أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – :

لقد كان لأصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – اعتناء بالغ بهذا الأمر، وكان الخلاف في الرأي يحصل بينهم، ومع ذلك كانت النفوس صافية نقية.

نقل الحافظ في الفتح عن القرطبي قوله: "من تأمّل ما دار بين أبي بكر وعليّ من المعاتبة ومن الاعتذار، وما تضمن ذلك من الإنصاف، عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة، وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحيانا، لكن الديانة تردّ ذلك والله الموفق"[٣].

---

[١] القشيري، مسلم بن الحجاج. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ترقيم وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. (١٣٤٠/٣)، ح(١٧١٥)

[٢] سنن الترمذى (١٤٨/٥)، (٢٨٦٣). حكم الألباني: صحيح

[٣] ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي. فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. (٧ /٤٩٥)

المبحث الأول : دعوة الإسلام إلى الاجتماع ونبذ الفرقة :

تمهيد:

من القضايا التي تعدّ أكثرها أهمية في حياتنا؛ ماضي الأمة وحاضرها ومستقبلها: قضية وحدة الأمة، فلا يختلف اثنان في أهمية وضرورة وحدة المسلمين والسير تحت ظلال القرآن الكريم، وسنة نبيّه – صلى الله عليه وسلم –، فمن هنا كان للوحدة ركائزها ومطالبها، استجابة لقول الله تعالى: (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) المؤمنون: ٥٢

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير، و... في هذه الآية الكريمة: " دينكم دين واحد ... وقال الحسن البصري: أي سنتكم سنة واحدة – أي: هذه شريعتكم التي بينت لكم ووضحت لكم "[١].

وفى الحديث: عن أبى هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلّات، أمهاتهم شتّى ودينهم واحد"[٢].

فالدين الذي جاء به محمد هو دين آدم، وهو دين نوح، وهو دين هود، وهو دين صالح،.. وهو دين جميع الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام. قال الله تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) الشورى:١

---

[١] ابن كثير القرشي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ . (٣٧١/٥)

[٢] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ. (١٦٧/٤)، ح(٣٤٤٣)

المطلب الأول: لا اجتماع بين البشر إلا تحت مظلة الدين

وحدة الأمة الإسلامية هي: اجتماع المنتسبين إلى الإسلام على أصول الدين وقواعده الكلية، وعملهم معا لإعلاء كلمة الله ونشر دينه، وبذلك يحققون معنى الأمة كما قال تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) آل عمران: ١١٠

والإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله دينا غيره، لا من الأولين ولا من الآخرين، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام، قال الله –تعالى– عن نوح: {واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم..وأمرت أن أكون من المسلمين} يونس: ٧١–٧٢، وقال عن إبراهيم: {ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه} إلى قوله: {إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين} وقوله: {فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) البقرة: ١٣٠–١٣٣

وقال عن موسى: {وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين} يونس:٨٤، وقال في حواري المسيح: {وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون} المائدة: ١١١

وقال فيمن تقدم من الأنبياء: {يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا} المائدة: ٤٤، وقال عن بلقيس أنها قالت: {رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين} النمل: ٤٤.

فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كلاهما كافر بالله – تعالى–، والاستسلام له وحده، يتضمن عبادته وحده، وطاعته وحده، فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره، وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت، بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

إن دين الأنبياء والمرسلين دين واحد وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاج. فدين المرسلين يخالف دين المشركين المبتدعين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، قال تعالى: {فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون، منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون} الروم: ٣٠، وهذا التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينا غيره، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب.

إن الإسلام علمنا أنه لا اجتماع إلا تحت مظلة هذا الدين العظيم، فمهما اجتمعنا تحت مظلة أخرى، فإن هذا الاجتماع سيكون اجتماعا صوريا، أو شكليا، لا يؤتي ثماره، بمعنى: أن الاجتماع تحت مظلة لون، أو عرق، أو إقليم، أو ما شابه ذلك لا يدوم طويلا، أما الاجتماع تحت مسمى هذا الدين، فهو الذي يدوم. والذين مثلوا الإسلام حقيقة هم رسل الله – صلوات الله عليهم أجمعين – وفي مقدمتهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي رسم لنا المنهج، وأوضح لنا الطريق، حيث جمع أعراقا متعددة من أقاليم متباينة، كلهم قد اجتمعوا تحت مظلة هذا الدين، العربي مع غير العربي، والأبيض مع الأسود، والعامي مع العالم، كل ذلك حققه النبيّ – عليه الصلاة والسلام – بهذا المنهج الرباني العظيم. فالقرآن منهج للحياة البشرية بكل مقوماتها، يشمل التصورات العقائدية التي تفسر طبيعة الوجود، ويحدد مكان الإنسان في هذا الوجود والغاية من وجوده، ويشمل النظم التي تنبثق من العقيدة التي يدعو إليها القرآن الكريم وتستند إليه، وأساسها الإيمان بالله – عز وجل.

المطلب الثاني: تضافر النصوص والآثار على لزوم الجماعة ونبذ الفرقة والاختلاف

إن من أعظم أصول الإسلام ومقاصده، الحرص على ائتلاف القلوب واجتماع الكلمة ووحدة الصف، والبعد عن الفرقة والاختلاف والتحذير من كل ذلك، ومنع أسباب التخاصم والتنازع. قال ابن تيمية: "...والاجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم –... وهذا الأصل العظيم: وهو الاعتصام بحبل الله جميعا وأن لا يَتفرّق هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله – تعالى – به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية النبي – صلى الله عليه وسلم – في مواطن عامة وخاصة"[١]. وقد دلت على هذا الأصل نصوص كثيرة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله، ومن الآثار عن الصحابة وغيرهم؛ مما يؤكد على أهمية هذا الأصل وضرورته للمجتمع المسلم في وجوده واستمراره، فمن ذلك:

١- قوله عز وجل: {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا} آل عمران: ١٠٣ قال ابن كثير: "أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف.. وقد ضمنت لهم – أي للمسلمين – العصمة عند اتفاقهم، من الخطأ،..وخيف عليهم الافتراق والاختلاف"[٢]. وقال القرطبي: "إن الله يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة؛ فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاة"[٣].

---

[١] ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ. (٢٢/٣٥٨-٣٥٩)

[٢] تفسير ابن كثير (٢/٩٠).

[٣] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ. (٤/١٥٩)

٢- قال عز وجل: {وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين} الأنفال: ٤٦ قال السعدي: "(ولا تنازعوا) تنازعا يوجب تشتت القلوب وتفرقها (فتفشلوا) أي: تجبنوا (وتذهب ريحكم) أي: تنحل عزائمكم، وتتفرق قوتكم، ويرفع ما وعدتم به من النصر على طاعة الله ورسوله"[١].

٣- قال تعالى: {ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم} آل عمران: ١٠٥. قال السعدي: " ثم نهاهم عن سلوك مسلك المتفرقين، الذين جاءهم الدين والبينات، الموجب لقيامهم به، واجتماعهم، فتفرقوا واختلفوا وصاروا شيعا، ولم يصدر ذلك عن جهل وضلال، وإنما صدر عن علم وقصد سيئ، وبغي من بعضهم على بعض؛ ولهذا قال: {وأولئك لهم عذاب عظيم}"[٢].

٤- ومن السنة المطهرة ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"[٣]. قال النووي: "قوله: (ولا تفرقوا) أمر بلزوم جماعة المسلمين وتألف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام"[٤].

٥- عن ابن عباس أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "يد الله مع الجماعة"[٥].

---

[١] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ. (١/٣٢٢)

[٢] تفسير السعدي (١/٩٧٢).

[٣] صحيح مسلم (٣/١٣٤٠)، ح(١٧١٥).

(٤) النووي، محيي الدين يحيى بن شرف. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ. (١٢/١١)

[٥] الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. قال الألباني: صحيح. (٤/٤٦٦)، ح(٢١٦٦)

٦- عن ابن عمر عن رسول الله أنه قال: "..عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة؛ فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة"[١].

٧- عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "الجماعة رحمة والفرقة عذاب"[٢].

٨- عن جابر أن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم"[٣]. قال القرطبي: "أي في الخلاف والشرور والعداوة والبغضاء بينهم، حتى تكون من ذلك أمثال تلك الفتن العظيمة والخطوب الجسيمة"[٤].

وأما الآثار : فعن ابن مسعود قال: "الزموا هذه الطاعة والجماعة فإنه حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة"[٥]، وقال أيضا في معنى قوله تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعا}، قال: "حبل الله الجماعة"[٦].

وقال علي بن أبي طالب: "اقضوا ما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي".

وقال ابن عباس في معنى قوله تعالى: {ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}، وقوله: {أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه}، قال: "أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة"[٧].

---

[١] سنن الترمذي (٤/٤٦٥)، ح(٢١٦٥). قال الألباني: صحيح

[٢] ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك. السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ. قال الألباني: إسناده حسن ورجاله ثقات. (١/٤٤)، ح(٩٣)

[٣] صحيح مسلم (٤/٢١٦٦)، ح (٢٨١٢).

[٤] القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. (٢٣/١٣٧)

[٥] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر – بيروت.

[٦] الدر المنثور (٢/٢٨٥). (٧/٤٨٦).

[٧] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ . (٩/٣٢١)، ح (١٠٧١٠)

وذكر ابن تيمية ما نصه: "من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين، فإن الله تعالى يقول: {فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم}، ...الخ وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة، وجماع السنة: طاعة الرسول"[١].

ويقول أيضا: "ومعلوم أن ائتلاف قلوب الأمة أعظم في الدين من بعض هذه المستحبات؛ فلو تركها المرء لائتلاف القلوب كان ذلك حسنا".

ويقول أيضا: "وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة. بل وفي غيرها: هو التفرق والاختلاف، فإنه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم. وإن كان بعض ذلك مغفورا لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر فيه خطؤه أو لحسناته الماحية أو توبته أو لغير ذلك؛ لكن يعلم أن رعايته من أعظم أصول الإسلام، ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الأمة بالسنة والجماعة"[٢].

---

[١] مجموع الفتاوى (٥١/٢٨).

[٢] مجموع الفتاوى (٣٦٠/٢٢).

المبحث الثاني: مقومات الوحدة

تمهيد:

من المعلوم من الدين بالضرورة، أهمية الوحدة في ديننا الحنيف، وسواء أكان الاهتمام بذلك والحث عليه، قد جاء نظريا أو عمليا، فنظريا: من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المتضافرة في الدعوة لوحدة الصف واجتماع الكلمة – وقد تقدم الكلام حول ذلك فيما سبق –، وأما عمليا: فمن خلال ممارسة الشعائر التعبدية، وتطبيق شرائع الإسلام العظيم في مختلف مناحي الحياة ومجالاتها.

ولما كان من أهمية خاصة للوحدة في الواقع، فقد أولى الإسلام لها أهمية قصوى، وذلك لما لها من آثار عظيمة ونتائج باهرة في واقع حياتنا. ولأجل ذلك، كان من الأهمية بمكان، ضرورة الوقوف على أهم الركائز والمقومات التي تقوم عليها هذه الوحدة، وها ما سأتناوله فيما يأتي.

المطلب الأول: مقومات وركائز الوحدة

مما لاشك فيه أن وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم على الحق، يعد من أهم الموضوعات وأخطرها. وهو ليس موضوعا جديدا على الأسماع والعقول، غير أن أساليب المتحدثين فيه متنوعة إلى حدّ كبير، فمن المفكرين من يقدّم طرحا في موضوع الوحدة والاجتماع، فتغلب عليه العواطف والأمنيات، فيدعو إلى وحدة الصف واجتماع الكلمة، دون النظر إلى الضوابط الشرعية، فلا أصول يجتمعوا عليها ولا مبادئ، ولا تمايز فيها بين طوائف الأمة؛ فلا فرق بين متبع للكتاب والسنة، ومستمسك بهدي السلف الصالح، وبين مبتدع في الدين، ومحدث فيه ما ليس منه. ووحدة الأمة الإسلامية، هي: اجتماع المنتسبين إلى الإسلام على أصول الدين وقواعده الكلية، وعملهم معا لإعلاء كلمة الله ونشر دينه، وبذلك يحققون معنى الأمة ومفهوم الوحدة الإسلامية. قال تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف

وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون} آل عمران: ١١٠، وقوله تعالى: "واعتصموا بحبل الله جميعا..." ، وقد وصف الله تعالى المسلمين في الآية الكريمة بأنهم خير أمة، وذكر موجبات تلك الخيرية وهي: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله تعالى، وأتى بجميعها على صيغة الجمع ليدل على وجوب اجتماعهم واتفاقهم. قال الإمام القرطبي: " مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به. فإذا تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر، زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سببا لهلاكهم "[١]. ونرى أن للوحدة والاجتماع بين الأمة، مقومات وركائز أساسية في وحدة البناء، من هذه المقومات ما يلي:

أولا: وحدة العقيدة، فعقيدة المسلمين في الله تعالى وفي جميع أركان الإيمان واحدة، لا اختلاف بينهم في أصول الدين ومبادئه الأساسية، فالمسلمون كلهم يؤمنون بوحدانية الله تعالى، ويؤمنون بالملائكة، وبالكتب، وبالرسل، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. قال تعالى: {آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير} البقرة: ٢٨٥، وفي الآية بيان لعقيدة النبيّ – صلى الله عليه وسلم – وعقيدة أصحابه – رضي الله عنهم أجمعين، وعقيدة سائر من يقتفي بسنته ويهتدي بهديه إلى يوم الدين.

ثانيا: وحدة الشعائر والشرائع: فجميع ما يطبقه المسلمون في عباداتهم من شعائر، جملة واحدة لا تختلف، وكذلك ما يحتكمون إليه من الشرائع في شتى جوانب الحياة. قال السعدي رحمه الله: (ومن أنواع الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه، ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة، كاجتماع الحج والأعياد، والجمع والصلوات الخمس والجهاد، وغير ذلك من العبادات التي لا تتم ولا تكمل إلا

---

[١] تفسير القرطبي (١٧٣/٤).

بالاجتماع لها وعدم التفرق)[١]. وهذا من واجبات أهل العلم والدعاة المصلحين من حمل أمانة العلم، والدعوة إلى الله تعالى، والقيام بواجبهم. وعلى ضوء ذلك نقول: لقد شرع الله للمسلمين من الدين شعائر يعظمون بها الله تعالى ويتقربون بها إليه سبحانه، وأعظم تلك الشرائع هي أركان الإسلام، وهي بعد الشهادتين: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وتلك هي أركان الإسلام التي عليها ابتنى. فقد جاء في الحديث: عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول – صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان)[٢]. وهذه الأركان لا تستثني أحدا من المسلمين، وقد روعي في تشريعها: تحقيق قوة الأمة الإسلامية وتماسكها وتعاون أفرادها فيما بينهم، ولذلك فإن أتم صور تطبيقاتها ما أدى إلى تحقيق هذه المقاصد العظيمة والغايات الجليلة. وكذلك شرع المولى سبحانه للمسلمين شرائع في منتهى السماحة والعدالة والشمول لتنظيم جميع شؤون الحياة، وإسعاد كل شرائح المجتمع، قال تعالى: {إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخآئنين خصيما} النساء: ١٠٥

ثالثا: الشعور بالانتماء الحقيقي لأمة إسلامية واحدة، تستمد تعاليمها ومبادئها من القرآن الكريم والسنة النبوية، فإذا أمعنا النظر في اختلاف الأمة الإسلامية، تبين لنا لزوم تنمية الشعور بالانتماء إلى هذا الدين العظيم الذي تضمن الخيرية. وصدق الفاروق – رضي الله عنه – حين قال: " نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة بغير الإسلام، أذلنا الله". ولذا فليس من المستغرب أن تزول وتذوب كل الفروقات أمام الإسلام، برز ذلك فيما حدث بين أبي ذر وبلال بن رباح، حين عيّره أبو ذر بأمه السوداء، فكان الرد النبوي لأبي ذر: إنك امرؤ فيك جاهلية. فلا شيء يعلو على الإسلام، إن كانت

---

[١] تفسير السعدي (٧٥٤/١).

[٢] صحيح البخارى (١١/١)، ح(٨).

عصبية أو قومية أو وطنية،.. أو غير ذلك. فجميعها تتلاشى أمام الإسلام العظيم؛ ولذا كان رد النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – لمن تداعى بالعصبية: ليس منا من دعا إلى عصبية، ..وقال : دعوها، فإنها منتنة.

رابعا: نبذ الخلافات المذهبية، التي من شأنها أن تبدد وحدة المسلمين، وتعمل على إثراء الضغينة بينهم. والعمل على تقريب وجهات النظر بين المسلمين جميعا، من خلال آيات الله تعالى في كتابه وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم. وليسعنا ما وسع سلفنا الصالح، وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه. والاختلاف لا يفسد قضية للودّ، وإنّ لنا في سلفنا الصالح خير قدوة في ذلك، فقد كان الإمام الشافعي يصلي في مسجد للإمام أبي حنيفة وأتباعه، فتراه يلتزم بمذهب أبي حنيفة في أفعال الصلاة وحركاتها، ولما سئل عن ذلك: بيّن سبب فعل ذلك، وهو: الاحترام لشخص أبي حنيفة بعد وفاته – رحمه الله – . فأين نحن اليوم من هؤلاء الأئمة العظام، ولنعلم أن هناك كثيرا من الأمور في ديننا، هو ما يوحّدنا ويجمعنا: ابتداء من أركان الإيمان، وأركان الإسلام، ثم قواعد السلوك والأخلاق، وقواعد التعامل بمختلف مجالاتها: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية،...إلى غير ذلك.

المطلب الثاني: علاج الفتن والمشاكل المعاصرة بوحدة الصف

فقد أمرنا الله سبحانه بالاجتماع وعدم التفرق فقال عز وجل: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) آل عمران: ١٠٢–١٠٣

قال ابن كثير: " أمرهم بالجماعة ونهاهم عن الفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف...وقد ضمنت لهم العصمة، عند اتفاقهم، من الخطأ،.. وخيف عليهم الافتراق والاختلاف "[١] .

وقال القرطبي : (فإن الله يأمر بالألفة ، وينهى عن الفرقة ، لأن الفرقة هلكة والجماعة نجاة)[٢] .

.. إن الاجتماع وعدم التفرق أصل عظيم من أصول هذا الدين ، إن الدين يدعو إلى الاجتماع ووحدة الصف وجمع الكلمة ، وعدم التفرق وتشتيت الشمل .

إن قوة الأمة وكيانها إنما يكون باجتماع الكلمة ووحدة الصف. الاجتماع ووحدة الصف يساعدان المجتمع على مواجهة التحديات، ويعملان على تحقيق وعي الأمة بفهم ذاتها فهما صحيحا. الاجتماع ووحدة الصف يحققان الألفة والمحبة، وكل ما يؤدي إلى الترابط في المجتمع.

يؤدي الاجتماع إلى تحقيق الألفة بين المسلمين، وانتشار التعارف فيما بينهم، وبذلك تتحقق المودة، ويسود الإخاء ويعم التعاون، قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) المائدة: ٢.

في الاجتماع تقوية لجانب المسلمين في المجتمع الواحد، ورفع روحهم المعنوية انطلاقا من الاعتقاد بأن يد الله مع الجماعة، ومن كانت يد الله معه كان واثقا من نصر الله تعالى، ثبت في سنن الترمذي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "يد الله مع الجماعة"[٣].

الاجتماع يخيف الأعداء، ويلقي الرعب في قلوبهم، ويجعلهم يخشون شوكة الإسلام والمسلمين، ومن ثم يكون الاجتماع عزة للمسلمين.

إن توحيد الصفوف واجتماع الكلمة هي الدعامة الوطيدة لبناء الأمة، ودوام دولتها، ونجاح رسالتها:

---

[١] تفسير ابن كثير (٢/٨٩-٩٠).

[٢] تفسير القرطبي (٤/١٥٩).

[٣] سنن الترمذي (٤/٤٦٦)، ح(٢١٦٦). حكم الألباني: صحيح

كونـوا جميعا يا بني إذا اعترى　　　خطب ولا تتفرقـوا آحادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا　　　وإذا افترقن تكسرت أفرادا

إن القاعدة الأصيلة بين المسلمين أن يسعوا في كل أمر يؤلف بين قلوبهم ويجمع كلمتهم، ويوحد رأيهم، وأن ينابذوا كل ما يضاد ذلك.

ولذلك وجب علينا جميعا، وخصوصا عند الفتن وغياب صوت الحق والحكمة، أمران: الأول: أن يتحد أفراد الأمة ويكونوا صفا واحدا، ويتركوا الخلافات جانبا، ثانيا: أن يتحدوا مع حكامهم ويكونوا صفا واحدا، وأن يسمعوا ويطيعوا لهم في غير معصية الله، فإنه كما يقول العلماء: قد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمام، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة.

إن السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية الله، والوقوف معهم صفا واحدا أمر واجب، لا خلاف بين سلف الأمة في ذلك. يقول الحسن البصري: هم يلون من أمورنا خمسا: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله لا يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن طاعتهم والله لغبطة، وإن فرقتهم لكفر.

ولقد كان السلف الصالح يولون هذا الأمر اهتماما بالغا، لا سيما عند ظهور بوادر الفتنة، نظرا لما يترتب على الجهل به أو إغفاله من الفساد العريض في العباد والبلاد، والعدول عن سبيل الهدى والرشاد.

يقول حنبل – كما أخرجه الخلال في السنة –: "اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبد الله – يعني الإمام أحمد بن حنبل – وقالوا له: هذا الأمر قد تفاقم وفشا، يعنون إظهاره لخلق القرآن وغير ذلك، فقال لهم أبو عبد الله: فما تريدون؟ قالوا: أن نشاورك في أنا لسنا نرضى بإمرته، ولا سلطانه، فناظرهم أبو عبد الله ساعة. وقال لهم: عليكم بالنكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا يدا من طاعة، ولا تشقّوا عصا

المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح برّ، أو يستراح من فاجر"[١].

إذ أنه لا يجوز تأليب الناس على ولاة أمورهم وإيقاع البغضاء فيما بينهم، سواء عن طريق المظاهرات أو الاعتصام أو التشهير العلني بهم أو التنقص منهم أمام الناس، فيحصل التهييج والفوضى في المجتمع، فإن هذا مخالف لهدي سلف الأمة، وقد حمل لواء هذا الفكر أناس من الجهلة لم يكن لهم حظ من العلم، ولم يقرءوا التاريخ ليروا فساد منهجهم، وصحة منهج السلف الصالح.

ولم يدر هؤلاء المفتونون أن أكثر ولاة أهل الإسلام من عهد يزيد بن معاوية – حاشا عمر بن عبد العزيز وبعض بني أمية – قد وقع منهم الجراءة والحوادث العظام والخروج والفساد في ولاية أهل الإسلام، ومع ذلك فسيرة الأئمة الأعلام والسادة العظام معهم معروفة مشهورة، لا ينزعون يدا من طاعة فيما أمر الله سبحانه به، ورسوله – صلى الله عليه وسلم – من شرائع الإسلام وواجبات الدين.

وخير مثال على ذلك: الحجاج بن يوسف الثقفي، وقد اشتهر أمره في الأمة بالظلم والإسراف في سفك الدماء، وانتهاك حرمات الله، وقتل من قتل من سادات الأمة كسعيد بن جبير، وحاصر عبد الله بن الزبير، وقد عاذ بالحرم الشريف، واستباح الحرمة وقتل ابن الزبير، مع أن ابن الزبير قد أعطاه البيعة، وبايعه عامة أهل مكة والمدينة واليمن وأكثر سواد العراق، والحجاج نائب عن مروان، ثم عن ولده عبد الملك، ولم يعهد أحد من الخلفاء إلى مروان ولم يبايعه أهل الحل والعقد: ومع ذلك لم يتوقف أحد من أهل العلم في طاعته، والانقياد له، فيما تسوغ الطاعة فيه من أركان الإسلام وواجباته .

---

[١] الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد. السنة، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية – الرياض، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م. (١٣٣/١)، ح(٩٠)

المبحث الثالث: نبذ الفرقة والاختلاف، وأهمية ذلك في وحدة الأمة وقوتها:

حذر ديننا الحنيف من إثارة الفتنة بعقاب شديد في الدنيا وهو القتل ، وقد وردت نصوص بقتل من سعى لتفريق الأمة وتمزيقها بالفتن، منها قول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: " من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه "[١]، وفي رواية أخرى: " إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنا من كان "[٢]. فالفرقة والاختلاف من أعظم أسباب الهدم والضياع، ونشر الفساد، وموانع الإصلاح والبناء، ومما يساعد على الحرب والاقتتال. وما أصيب بنو إسرائيل بالنقص والخذلان، وحاق بهم الذل والهوان، وحقت عليهم اللعنة –رغم أن النبوة كانت فيهم، وقد فضلوا على العالمين– إلا بسبب اختلافهم على أنبيائهم، وإتباع أهوائهم، وأدى بهم ذلك إلى الفرقة والعداوة والبغضاء فيما بينهم. يقول الله تعالى في شأن اليهود: (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) المائدة:٦٤ ، وفي شأن النصارى قال سبحانه وتعالى: (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) المائدة:١٤. لقد قص الله تعالى علينا ما وقعت فيه بنو إسرائيل من الفرقة والاختلاف والعداوة والبغضاء؛ لئلا نسير سيرتهم، ولكي نحذر مسلكهم وطريقتهم، فنعتصم بحبل الله تعالى جميعا ولا نتفرق، قال تعالى: (ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) يونس:٩٣. وفي الآية الأخرى: (وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) الجاثية:١٧. وبلغ بهم اختلافهم وفرقتهم مبلغ الشقاق والعناد والقتال؛ كما في قول الله تعالى: (ذلك بأن الله نزّل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) البقرة:١٧٦ فنهانا ربنا – جل جلاله– أن نكون كما كانت بنو إسرائيل فرقة واختلافا وتباغضا وتناحرا؛ لئلا نضل كما ضلوا،

---

[١] صحيح مسلم (١٤٨٠/٣)، ح(١٨٥٢).

[٢] صحيح مسلم (١٤٧٩/٣)، ح(١٨٥٢).

ونزيغ كما زاغوا. قال تعالى: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) آل عمران:١٠٥. وفي الآية الأخرى: (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) الروم:٣٢. إنه طريق واحد هو الصراط المستقيم الذي أمرنا الله تعالى بسلوكه، وهو طريق الأنبياء كلهم، من سلكه أفلح وفاز، وسعى بالصلاح في أمته، ومن حاد عنه فقد خاب وخسر، وجنى على أمته الخراب والدمار. ولما أمر الله تعالى بسلوك هذا الطريق الأوحد نهى عن الطرق الأخرى التي ينتج عنها التفرق والاختلاف، قال تعالى: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام:١٥٣. وفي الآية الأخرى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) الشورى:١٣. ومع هذا التحذير العظيم من التفرق والاختلاف الذي جلّاه القرآن، فإن أمة الإسلام وإن كانت معصومة من الإجماع على ضلالة، فإنها ليست معصومة من التفرق والاختلاف، الذي سببه البدع والضلالات، وإتباع الهوى، وتعطيل السنن، والغرور بالدنيا وزخارفها؛ ولذلك أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهذه الواحدة هي من سلكت سبيل المرسلين، والفرق الباقية الهالكة هي التي ابتدعت في الدين[١].

قال ابن تيمية – رحمه الله –: " والبدعة مقرونة بالفرقة كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة كما يقال: أهل البدعة والفرقة "[٢]. قد يبلغ التفرق بالأمة مبلغ الاحتراب والاقتتال، فيفني بعضهم بعضا، ويقتلون أنفسهم ويتركون أعداءهم؛ كما وقع ذلك في كثير من دول الإسلام وتاريخهم، ولا يزال يقع إلى يومنا هذا، وهو كما جاء في حديث ثوبان – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه

---

[١] عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة». سنن الترمذي (٢٥/٥)، ح(٢٦٤٠). قال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح. قال الألباني: حسن صحيح

[٢] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. الاستقامة، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٣هـ. (٤٢/١)

وسلم –عن ربه – تبارك وتعالى – أنه قال: " يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا "(١). وفي حديث سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – قال: قال النبي– صلى الله عليه وسلم –: " وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها "(٢). وإذا كان التفرق والاختلاف واقعا في الأمة لا محالة، وهو من قدر الله تعالى الذي قدره عليها، فليس معنى ذلك أن يستسلم أفراد الأمة لهذا القدر، ولا أن يحتجوا به على تفرقهم واختلافهم؛ لأن الله تعالى وإن قدر ذلك بحكمته فقد أمرنا سبحانه بالاجتماع، ونهانا عن الفرقة: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) آل عمران:١٠٣، وفي أخرى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) الأنفال:٤٦، وروى أبو هريرة – رضي الله عنه – فقال:قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " إن الله يرضى لكم ثلاثا ... يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم..."(٣).

المطلب الأول: أسباب ضعف الأمة، ومفاسد الفرقة والاختلاف:

إن سنة الله تعالى في الأمم أن تقع في الاختلاف، وهذا أمر طبيعي؛ قال تعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) الروم: ٣٠، سواء اختلافها في وجهات نظرها، أم تحديدها للأولويات، فضلا عما بين البشر من تفاوت في العقول والأفهام وإدراك الحقائق. وليست الدعوة الإسلامية – باعتبارها نشاطا بشريا– بمنأى عن ذلك، حيث جاءت كثير من النصوص الشرعية في الفروع حمالة

(١) صحيح مسلم (٢٢١٥/٤)، ح(٢٨٨٩).
(٢) صحيح مسلم (٢٢١٦/٤)، ح(٢٨٩٠).
(٣) أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ. (٤٠٠/١٤)، ح(٨٨٠٠).

أوجه؛ لتقبل أكثر من تأويل، ويكون لها أكثر من تفسير، وفقا لتعدد الزمان والمكان، واختلاف أحوال العباد، وذلك – لا شك – من يسر الشريعة الإسلامية التي تفردت بمثل هذه الخصيصة؛ قال الله تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) البقرة: ١٨٥، فلا خلاف في مسائل العقائد والثوابت من الشريعة، وإنما جاء الخلاف في المسائل الفرعية تيسيرا على الأمة، وتنبيها للدعاة والمصلحين إلى تقبل الخلاف بصدر رحب، وهذا هو الاختلاف المحمود الذي لا يذم من أتى به.

ولكن على الرغم من بداهة ما سبق، إلا أننا نستطيع أن نلمس حالة من التهارج والتشرذم والتفرق بين الصالحين والمصلحين – إلا من رحم الله –، تلك الحالة التي أورثت خذلانا وفشلا، وضياعا للكلمة، وسط ركام هائل من التنازعات، واعتداد كل صاحب رأي برأيه، فكان ذلك مصداقا لوعيد الله – تبارك تعالى – في قوله: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) الأنفال: ٤٦؛ فحالة الفشل المستشرية في الأمة، وذهاب القوة، وضياع الكلمة، وعدم اكتراث الأعداء بالمؤمنين، نتيجة – ولا شك – لتنازع الجماعة المسلمة وتفرقها، واستشراء هذا الداء العضال بين أبنائها. وهذا هو الاختلاف المذموم الذي يترتب عليه الخسران والبوار في الدنيا والآخرة.

وإن أعظم الأسباب المفضية إلى اختلاف القلوب، والتباغض والتحاسد، والفرقة بين المسلمين؛ إتباعهم للهوى، وميلهم عن الحق لغرض شخصي في نفوسهم، فالهوى سم فتاك، وإتباعه نذير شؤم على الفرد والمجتمع؛ يقول – تبارك وتعالى – محذرا نبيه داود –عليه السلام– من مغبة إتباعه لهواه: (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) ص: ٢٦، فجعل إتباع الهوى انحرافا عن سبيل الله تعالى، والانحراف عن سبيله سبب في العذاب الشديد في الدنيا والآخرة.

إن طرح الهوى جانبا، واستسلام المؤمنين لله ابتداء يبطل أسباب النزاع، فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه؛ وإلا حين يكون الهوى المطاع والشح المتبع هو الذي يوجه الآراء والأفكار، فإذا

استسلم الناس لله ورسوله انتفى السبب الأول للنزاع بينهم، مهما اختلفت وجهات النظر، فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات نظر المتخالفين، فلكم اختلف العلماء والصالحون والمصلحون من السلف والخلف، وظلوا مع ذلك إخوانا متحابين متآلفين؟! إنما مثار التنازع والفرقة هو الهوى الذي يجعل كل صاحب رأي يصر عليه، مهما تبين له أن وجه الحق في غيره! وإنما هو وضع "الذات" في كفة، والحق في كفة؛ وترجيح الذات على الحق الواجب الإتباع: (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) المؤمنون: ٧١.

لقد كانت الفرقة إيذانا بتسلط التتار على دولة الإسلام، في وقت انتشرت فيه الفتن في المذاهب، واعتداد كل ذي رأي برأيه، دون النظر إلى المصلحة العامة للأمة، حيث إن هذه الفرقة كانت سببا في وقوع قتلى بالملايين في ذلك العصر، وكم اهتزت منابر العلماء الصادقين في ذلك الزمان تدعو إلى الاتحاد والاعتصام بكتاب الله تعالى ونبذ الفرقة والاختلاف؛ حفاظا على حياة الأمة، وانتصارا للحق في وجه البغاة والمحتلين، ولكن لا حياة لمن تنادي، فكان من نتيجة ذلك تسلط للكفار على بلاد المسلمين، وقتلى بلا عد ولا حصر.

وبعد عدة قرون، وفي مشهد قاس يدمي القلب ويدمع العين، تسلط الصليبيون على المسلمين في بلاد الأندلس، يوم أن أصبحوا فرقا وطوائف بعد عز وتمكين داما ثمانية قرون عاشت فيها إسبانيا أزهى عصورها، ورأت من صنوف التقدم والحضارة ما لا مثيل له في ذلك الحين، ولا عجب إن طالعتم في كتب التاريخ التي أرخت لهذه الفترة من حياة أمة الإسلام، عندما تجدون أن حكام إمارات الأندلس كان يستقوي أحدهم بالحكام الصليبيين طلبا لمساعدتهم في قتال الدويلات الإسلامية من حوله، طمعا في الاستيلاء عليها، وبسط نفوذه على أرضها وخيراتها، وذلك بالطبع بعد أن قسم التنازع والاختلاف دولة الأندلس العظيمة –التي اقتدت بها أوروبا في عصور نهضتها– إلى دويلات صغيرة، ولكم كذلك أن

تتقطع قلوبكم حسرة وكمدا إذا علمتم أن فتوحات الأندلس الإسلامية وصلت في وقت من الأوقات إلى أبواب مدينة باريس عاصمة فرنسا في معركة بلاط الشهداء الشهيرة.

يقول "جوستاف لوبون" –وهو أحد المؤرخين الغربيين–: "لو أن العرب استولوا على فرنسا، إذن لصارت باريس مثل قرطبة في إسبانيا، مركزا للحضارة والعلم؛ حيث كان رجل الشارع فيها يكتب ويقرأ، بل ويقرض الشعر أحيانا، في الوقت الذي كان فيه ملوك أوروبا لا يعرفون كتابة أسمائهم".

وبعد انتهاء المعركة التي حاول المسلمون فيها فتح فرنسا لتكون معقلا من معاقل الإسلام في أوروبا، ولكنها انتهت بهزيمة المسلمين، بعدها لم تسنح للمسلمين فرصة أخرى، فقد أصيبوا بتفرق الكلمة، واشتعال المنازعات، في الوقت الذي توحدت فيه قوة النصارى، وبدأت تستولي على ما في أيدي المسلمين في الأندلس من مدن وقواعد، ثم سقطت دويلات الأندلس تباعا.

فلا أخوة الوطن، ولا رابطة الدم، ولا نعرات القبيلة، ولا تنادي القوميات والأعراق، تقدر على انتشال الأمة من مستنقع الاختلاف الآسن الذي تغرق فيه، بل على العكس؛ إنها تزيد الاختلافات حدة، وتشعل نار الفرقة بما لا يدع مجالا لعودة العلاقات لطبيعتها من جديد، فالاختلاف مؤذن بالهلاك والتخبط والضلال.

روى البخاري[(١)] عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: لما حضر النبي – صلى الله عليه وسلم – أي حضره الموت، قال – وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب – قال: "هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده". قال عمر: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – غلبه الوجع، وعندكم القرآن، فحسبنا كتاب الله. واختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله – صلى الله عليه وسلم

(١) صحيح البخاري (١١١/٩)، ح(٧٣٦٦).

– كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "قوموا عني". قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم.

وروى البخاري ومسلم[1] عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم".

المطلب الثاني: سياسة القرآن الكريم في علاج الفرقة

المتأمل في نداءات رب العالمين للمسلمين في القرآن يجدها من بداية الكتاب العزيز إلى نهايته تنعتهم بلفظ واحد يجمعهم هو الإيمان؛ فيناديهم الله تعالى بقوله: (يا أيها الذين آمنوا)، ويخبر عنهم في موضع آخر: (إنما المؤمنون إخوة) الحجرات:١٠، ويؤكد عليهم في موضع ثالث: (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) المؤمنون:٥٢... وهكذا، فلم يفرق بين عربي وأعجمي، أو أحمر وأسود، أو مهاجري وأنصاري، فالكل واحد، وخطابهم واحد، وتكاليفهم واحدة: (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا) مريم: ٩٣. فليس من سبيل لانتشال هذه الأمة من مستنقع الضياع الذي تغوص فيه إلا بنبذ الخلافات، والترفع عن النزاعات والتسامي عن الأحقاد، وصهرها في بوتق المحبة والوفاق والأخوة. وكذلك حث النبي – صلى الله عليه وسلم – على الاجتماع فقال: "إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا"[2]. فتضمن الحديث النهي عن كل ما من شانه أن يبث الكراهية والبغضاء والفرقة بين المسلمين. وفيه كذلك: حض حث وأمر بالأخوة الصادقة، التي تثمر امتزاجا بين القلوب المتحابة والمتآلفة. يقول الإمام

[1] صحيح مسلم (٩٧٥/٢)، ح(١٣٣٧). وبنحوه: صحيح البخاري (٩٤/٩)، ح(٧٢٨٨).

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ترتيب وترقيم: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ. (١٩/٨)، ح(٦٠٦٤).

الشافعي – رحمه الله تعالى –: قد جمع الله الناس بالإسلام، ونسبهم إليه، فهو أشرف أنسابهم[١]. ويقول العلامة العثيمين – رحمه الله – تعليقا على الحديث: وفيه وجوب تنمية الأخوة الإيمانية؛ لقوله – صلى الله عليه وسلم –: "وكونوا عباد الله إخوانا"، ومنها بيان حال المسلم مع أخيه، وأنه لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره؛ لأن هذا ينافي الأخوة الإيمانية. فالأخوة الإيمانية والدعوة إلى الاجتماع والائتلاف تقتضي دفع السيئة بالحسنة: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)، ومقابلة الشر بالخير، وكظم الغيظ مع القدرة على إنفاذه، والمغفرة وسعة الصدر مع المخالفين: (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)، واللين والرفق بالمسلمين حتى وإن جهلوا وعابوا وأساؤوا الظن. وإن المتأمل في دعوة القرآن إلى السلم، يجدها في واقع الأمر راجعة إلى أسباب كثيرة، كلها نبذ لمنطق القوة السلبية وأسلوب العنف وإقصاء الآخر؛ أكتفي بالإشارة منها إلى ثلاثة[٢] :

<u>**أولا:**</u> إنه يقوم على التعارف والتعاون ، فالقرآن الكريم يؤسس لمبدأ التعارف بين الأمم والشعوب والحضارات : { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم } الحجرات: ١٣.

فالتنوع بين الناس وامتدادهم وتكاثرهم على ربوع الأرض، لا يعني أن يتفرقوا أو تتقطع أواصرهم، كما لا يعني هذا التنوع أن يتصادموا ويتنازعوا ويلجئوا إلى استعمال القوة والعنف للسيطرة من أجل الثروة والقوة والسيادة؛ وإنما ليتعارفوا، فللتعارف دور كبير في الحيلولة دون وقوع حوادث العنف والنزاع والصدام، وهو يكفل نسبة كبيرة من نجاح لقاءات التفاهم والنقاش والتحاور .

---

[١] البيهقي، أحمد بن الحسين. السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤ هـ. (٣٩٢/١٠)، ح(٢١٠٦١)

[٢] عزوزي، حسن بن إدريس، قضايا الإرهاب والعنف والتطرف في ميزان القرآن والسنة. ص ٥٣–٥٥

إن المبدأ القرآني في الدعوة إلى التعارف، وهو مبدأ إنساني حضاري سام يهدف إلى استبعاد وإقصاء سبل التفكير في استخدام العنف أو الصدام أو الاعتداء، فهو يقرب الأفكار والمسافات وينسج أواصر التعاون والتقارب .

ثانيا: إنه يدعو إلى الحوار الذي يسعى إلى تبادل وجهات النظر وإبداء الرأي والإقناع به في حل جميع المشكلات، قال تعالى: { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن } النحل: ١٢٥

ثالثا: إنه ينبذ التعصب للرأي الذي هو أول دلائل التطرف، فالتعصب للرأي تعصبا لا يعترف معه للآخرين بوجود، وجمود الإنسان على رأيه وفهمه جحودا لا يسمح له برؤية المصالح وتبين المقاصد واستحضار ظروف العصر وفقه الواقع، كل ذلك يجعل صاحبه بعيدا عن روح المسالمة والمحاورة، ويزداد الأمر خطورة حين يراد فرض الرأي على الآخرين بالعصا الغليظة، والعصا الغليظة هنا قد لا تكون من حديد ولا خشب، فهناك الاتهام بالابتداع أو بالاستخفاف بالدين أو بالكفر والمروق – والعياذ بالله – فهذا الإرهاب الفكري أشد تخويفا وتهديدا من الإرهاب الحسي.

المطلب الثالث: أهم أسباب العنف والتطرف، وطرق الوقاية من ذلك:

"... فمما لا شك فيه أن ظاهرة التطرف واستخدام العنف في المجتمع بمختلف أشكالها وتجلياتها تشكل ظاهرة مرضية تعبر عن اختلال في التقدير واختلاف في التصور والسلوك . إنها مظهر من مظاهر مجانبة الوسطية التي تعد خاصية متميزة نعت الله بها هذه الأمة ، وهذه الوسطية هي التي تؤهل

هذه الأمة لتقوم بالشهادة على الناس فتقيم بينهم العدل والقسط. انطلاقا من هذا فإن تشخيص ظاهرة العنف والتطرف والحكم عليها وتقويمها ينبغي أن يتم من خلال منظومة الإسلام العقدية والفكرية والأخلاقية التي ترتكز إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة "[١]

ومن أهم أسباب العنف والتطرف، ما يأتي:

١) الجهل بقواعد الإسلام وآدابه وسلوكه : إن من علامات الساعة أن يتحدث الرويبضة في شأن العامة والقضايا المصيرية ومن لا هم له إلا شهواته ، أو من حمل بأفكار غريبة يتولى تربية الشباب، فتستغل عواطفهم بتحميلهم أفكارا تؤدي لتحمسهم بلا ضابط ولا رادع، ولا رجوع لأهل العلم الصالحين الذين خبروا الأمور ودرسوا معالم الإصلاح جيدا ، ولا نجد تعليلا لذلك إلا الجهل ، فالجهل داء عظيم وشر مستطير تنبعث منه كل فتنة عمياء وشر وبلاء ، ومنه حديث: " ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال "[٢] ، وحديث: " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين "[٣] ، ويندرج في ذلك القول في دين الله بغير علم ؛ وذلك أن الجاهل يسعى إلى الإصلاح، فينتهج طرقا يظنها حسنة فيسيء من حيث أراد الإحسان، فيترتب على ذلك مفاسد عظيمة ، كالذي يريد أن ينكر وجود الكفار في الجزيرة فيفجر ديارهم ومساكنهم وفيهم من ليس منهم . بل قد أمرنا أن لا نسيء إليهم للعهد الذي بيننا وبينهم والأمان الذي أخذوه من ولي أمر المسلمين . هذا بالإضافة إلى شموله من ليس منهم فيضاعف تلك المفاسد الناشئة عن ذلك .

---

[١] قضايا الإرهاب والعنف والتطرف فى ميزان القرآن والسنة – أ .د / حسن بن إدريس عزوزى – مصدر الكتاب أليا بواسطة الموسوعة الشاملة – موقع الإسلام ج١/٢٠

[٢] السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. حكم الألباني: حسن. (٩٣/١)، ح(٣٣٦)

[٣] صحيح البخاري (٢٥/١)، ح(٧١).

٢) الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم؛ ألا ترى إلى الخوارج كيف خرجوا عن الدين كما يخرج السهم من الصيد المرمي؟ لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصفهم بأنهم: " يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم "[١]، أي: أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم، لأن الفهم راجع إلى القلب، فإذا لم يصل إلى القلب لم يحصل فيه فهم على حال، وهذا يقف عند محل الأصوات والحروف فقط، وهو الذي يشترك فيه من يفهم ومن لا يفهم. وما تقدم أيضا من قوله عليه الصلاة والسلام: " إن الله لا يقبض العلم انتزاعا "[٢] إلى آخره.

وقد وقع لابن عباس تفسير ذلك على معنى ما نحن فيه، فروى البيهقي في شعب الإيمان عن إبراهيم التيمي قال: خلا عمر بن الخطاب ذات يوم فجعل يحدث نفسه فأرسل إلى ابن عباس فقال : كيف تختلف هذه الأمة فكتابها واحد و بنيها واحد و قبلتها واحدة.

قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيم نزل، وأنه يكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن لا يعرفون فيم نزل، فيكون كل يوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا، فزبره عمر و انتهره، فانصرف ابن عباس، ثم دعاه بعد، فعرف الذي قال، ثم قال: أيها اعد[٣]. وما قاله ابن عباس –رضي الله عنهما– هو الحق، فإنه إذا عرف الرجل فيما نزلت الآية والسورة عرف مخرجها وتأويلها وما قصد بها، فلم يتعد ذلك فيها، وإذا جهل فيما أنزلت احتمل النظر فيها أوجها، فذهب كل إنسان فيها مذهبا لا يذهب إليه الآخر، وليس عندهم من الرسوخ في العلم ما يهديهم

---

[١] صحيح البخاري (٢٠٠/٤)، ح(٣٦١٠).

[٢] صحيح البخاري (٣١/١)، ح(١٠٠).

[٣] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. شعب الإيمان، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١٤١٠، ١ هـ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول. (٤٢٥/٢)، ح(٢٢٨٣)

إلى الصواب، أو يقف بهم دون اقتحام حمى المشكلات، فلم يكن بد من الأخذ ببادي الرأي، أو التأويل بالتخرص الذي لا يغني من الحق شيئا، إذ لا دليل عليه من الشريعة، فضلوا وأضلوا.

ويؤكد ذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – حين حذر من فتنة الخوارج، وأمر بقتلهم، بين أنهم إنما أتوا من قبل جهلهم، وقلة فقههم، فجنوا على أنفسهم وعلى أمتهم، ولم يشفع لهم حسن نيتهم، وسلامة قصدهم، وكثرة عبادتهم، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول: " سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة "[١].

فبين أنهم سفهاء الأحلام، وهذا دليل على ضعف عقولهم وغلبة الجهل عليهم، ووصفهم بأنهم "حدثاء الأسنان"، وحديث السن في الغالب أقرب إلى الجهل والطيش، والتسرع وعدم الروية، وجنوح الفكر والتطرف في الرأي، من كبير السن، الذي عركته الحياة، وحنكته التجارب، وأدرك أهمية النظر في المآلات والعواقب.

ووصفهم كذلك بأنهم "يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم"، وهذا أيضا دليل على جهلهم وضعف بصيرتهم، فإنهم مع كثرة قراءتهم للقرآن لا يجاوز حناجرهم، فهم لا يعونه بعقولهم، ولا يفقهون مواعظه ونذره، ولا يعلمون أحكامه وحدوده.

وقد بلغ من فرط جهلهم، وقلة توفيقهم أنهم كما وصفهم النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث آخر: "يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان"[٢]، فقد استحلوا دم علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ومن كان معه من خيار الصحابة والتابعين، هذا فضلا عن احتقارهم لكبار علماء الصحابة، وزهدهم في

---

[١] صحيح البخاري (١٦/٩)، ح(٦٩٣٠). وفي رواية مسلم: يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم. صحيح مسلم (٧٤٦/٢)، ح(١٠٦٦)

[٢] صحيح البخاري (١٣٧/٤)، ح(٣٣٤٤). صحيح مسلم (٧٤١/٢)، ح(١٠٦٤).

علمهم، وظنهم أنهم – على قلة بضاعتهم وضعف عقولهم – أعلم منهم، وأبصر بالأمور، فنعوذ بالله من عمى القلوب، وانطماس البصائر، ولبس الحق بالباطل[١].

٣) الغلو في الفكر: وهو مجاوزة الحد ، وهذا الغلو أو ما قد يصطلح عليه بـ (التطرف) خطير جدا في أي مجال من المجالات ، والإسلام قد حذر منه حتى ولو كان بلباس الدين يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: " إياكم والغلو "[٢]، ويقول – صلى الله عليه وسلم –: " هلك المتنطعون "[٣]. فمن يتصف بهذا الغلو ويجاوز الحد في فهم النصوص، فيعمل ويعتقد في العموميات ويترك النصوص التفصيلية الأخرى، وهذا شعار الخوارج: العمل بالنصوص العامة وإهمال باقي النصوص وعدم استقصاء الأدلة وأحوالها.

ومن دلائل هذه الضحالة الفكرية، وعدم الرسوخ في فقه الدين، والإحاطة بآفاق الشريعة: الميل دائما إلى التضييق والتشديد والإسراف في القول بالتحريم، وتوسيع دائرة المحرمات، مع تحذير القرآن والسنة والسلف من ذلك.

وحسبنا قوله تعالى: { ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون } النحل:١١٦

وكان السلف لا يطلقون الحرام إلا على ما علم تحريمه جزما، فإذا لم يجزم بتحريمه قالوا: نكره كذا، أو لا نراه، أو نحو ذلك من العبارات، ولا يصرحون بالتحريم، أما الميالون إلى الغلو، فهم يسارعون إلى التحريم دون تحفظ، بدافع التورع والاحتياط، إن أحسنا الظن، أو بدوافع أخرى، يعلم الله حقيقتها.

---

[١] الفوزان، عبد العزيز بن فوزان. أثر العلم الشرعي في مواجهة العنف والعدوان، ص ١٨ –١٩

[٢] مسند أحمد (٢٩٨/٥)، ح(٣٢٤٨). قال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم

[٣] صحيح مسلم (٢٠٥٥/٤)، ح(٢٦٧٠).

فقد روى الإمام البخاري بسنده عن ابن أبي نعم قال: كنت شاهدا لابن عمر، وسأله رجل عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟ فقال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا، يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن النبي – صلى الله عليه وسلم –، وسمعت النبي يقول: "هما ريحانتاي من الدنيا"[١].

ومن دلائل عدم الرسوخ في العلم، ومن مظاهر ضعف البصيرة بالدين: اشتغال عدد من هؤلاء بكثير من المسائل الجزئية والأمور الفرعية، عن القضايا الكبرى التي تتعلق بكينونة الأمة وهويتها ومصيرها.

فإذا كان في الفقه رأيان: أحدهما يقول بالإباحة والآخر بالكراهة، أخذوا بالكراهة، وإن كان أحدهما بالكراهة، والآخر بالتحريم، جنحوا إلى التحريم.

وإذا كان هناك رأيان: (أحدهما ميسر، والآخر مشدد، فهم دائما مع التشديد، مع التضييق، والدين براء من كل هذه الترهات . . . جاء في الحديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " لن ينجي أحدا منكم عمله " قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة، سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا "[٢].

وكان الأولى بهؤلاء أن يصرفوا جهودهم إلى ما يحفظ على المسلمين وناشئتهم أصل عقيدتهم، ويربطهم بأداء الفرائض، ويجنبهم اقتراف الكبائر، ولو نجح المسلمون في تلك الأقطار الأجنبية في هذه الثلاث: حفظ العقيدة، وأداء الفرائض، واجتناب الكبائر، لحققوا بذلك أملا كبيرا وكسبا عظيما.

ومن الجدير ذكره أن من هؤلاء الذين يثيرون الجدل في هذه المسائل الجزئية أناسا يعرف عنهم الكثيرون ممن حولهم، التفريط في واجبات أساسية مثل: بر الوالدين، أو تحري الحلال، أو أداء العمل بإتقان، أو رعاية حق الزوجة، أو حق الأولاد، أو حق الجوار، ولكنهم غضوا الطرف عن هذا كله، وغرقوا في

---

[١] صحيح البخاري (٨/٧)، ح(٥٩٩٤).

[٢] صحيح البخاري (٨/٩٨)، ح(٦٤٦٣).

دوامة الجدل الذي أصبح لهم هواية ولذة، وانتهى بهم إلى اللدد في الخصومة والمماراة المذمومة. وهذا النوع من الجدل هو الذي أشار إليه الحديث: " ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل "[١].

ومثل هذا الموقف المتناقض – الاجتراء على الكبار والوسوسة في التوافه – هو ما أثار الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما –، حين سأله من سأله من أهل العراق عن دم البعوض ونحوه بعد قتل السبط الشهيد سيد الشباب: الحسين بن علي – رضي الله عنهما.

خاتمة:

مما سبق إيراده من نصوص الوحيين، ومن مواعظ التاريخ يعلم أن الاجتماع خير ورحمة، وبه يقوى جانب المسلمين، وتهاب دولتهم، وتزدهر حضارتهم، ولا يظفر الأعداء منهم بشيء، وأن الفرقة شر وعذاب، وهي سبب الوهن والاضمحلال، ورفع الأمن، وحلول الخوف، وتوقف العمران، وما ظفر أعداء الإسلام قديما وحديثا بدولة، فأسقطوها واحتلوها، إلا بسبب الفرقة والخلاف بين أبنائها، حتى ينبري الخونة منهم، لإعانة أعداء الله تعالى؛ كي يحققوا مرادهم.

---

[١] سنن الترمذي (٣٧٨/٥)، ح(٣٢٥٣). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، حكم الألباني: حسن

فمن أدرك ذلك حق الإدراك، دان لله تعالى بلزوم الجماعة، والتزام الطاعة، وحذر من مفارقة جماعة المسلمين، وشق عصاهم، والشذوذ عنهم، وممالأة أعدائهم عليهم.

وصدق الله – عز وجل – إذ يقول: (إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها) آل عمران: ١٢٠

قال قتادة: "الحسنة هي الألفة والجماعة، والسيئة: الفرقة والاختلاف"[١].

ثبت المراجع:

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك. السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ.

---

(١) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ. (٣١٩/١)

- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. الاستقامة، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٣هـ.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي. فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- ابن كثير القرشي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ .
- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسننه وأيامه، ترتيب وترقيم: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق: عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش. دار طيبة، ط٤، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. شعب الإيمان، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١،١٤١٠ هـ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول.
- البيهقي، أحمد بن الحسين. السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤ هـ.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- الخَلَّال، أبو بكر أحمد بن محمد. السنة، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية – الرياض، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.
- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ .
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر – بيروت.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ .
- عزوزي، حسن بن إدريس، قضايا الإرهاب والعنف والتطرف في ميزان القرآن والسنة.
- الفوزان، عبد العزيز بن فوزان. أثر العلم الشرعي في مواجهة العنف والعدوان.
- القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ.
- القشيري، مسلم بن الحجاج. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ترقيم وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- النووي، محيي الدين يحيى بن شرف. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.